إسهامات المرأة في الحضارة الإسلامية

أولا : العناصر :

١- مكانة المرأة في الإسلام.

٢- رعاية الإسلام للمرأة في جميع مراحل حياتها.

٣- إسهام المرأة في بناء الحضارة الإسلامية.

أ- دور المرأة في بناء المجتمع .

ب- دور المرأة في المشاركة الوطنية .

ثانياً : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [التوبة: ٧١] }.

٢- وقال تعالى :{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥].

٣- وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}[آل عمران: ١٩٥].

٤- وقال تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧].

٥- وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات:١٣].

٦- وقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}[النساء:٣٧].

٧-وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان: ٧٤].

الأدلـة من الســـنة :

١- عَنْ أَبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَة إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ واثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ). (متفقٌ عَلَيْهِ).

٢- وعند الترمذي من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»).

٣- وعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحُلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟» ، وَإِذَا أَصْبَحَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» فَيُخْبِرُهُ) (الأدب المفرد).

٤- وعن الرُّبَيِّع بنت معوذ الأنصارية قالت : « كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ ، وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ» (رواه البخاري).

٥- وعن عطاء بن أبى رباح- رحمه الله- قَالَ: «كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ» » (رواه الحاكم في المستدرك).

ثالثاً : **المـــوضـــــوع**:

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، خُلقا من أصل واحد- خلقا من ذكر وأنثى- يَسعد كل منهما بالآخر، ويأنس به في هذه الحياة، فهما في الإنسانية سواء ، قال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات: ١٣].

ولم تعرف البشرية ديناً ولا حضارةً عنيت بالمرأة أجمل عناية وأتم رعاية كالإسلام؛ فقد تحدث عن المرأة وأكد على مكانتها وعظم منزلتها، وجعلها مرفوعة الرأس عالية القدر، لها الاعتبار الأسمى والمقام الأعلى، حيث تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة.

فالمرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة في مجتمعها المسلم، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تَقْدُم فيه إلى هذه الحياة ، مُرورًا بكل حال من أحوال حياتها ، أُمًا كانت ، أو بنتاً ، أو أختاً ، أو زوجة ، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع .

والإسلام الحنيف أراد للإنسان رجلا أو امرأة أن يقوم بدوره في قيادة البشرية والسير بها في طريق الخير والمحبة والسلام ، والوصول إلى مرضاة الله سبحانه، قال تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران: ١١٠] ، وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] ، وقال: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان: ٧٤].

فمن هذه المفاهيم وغيرها نجد أن الإسلام يريد أن يُعِدَّ أمة قائدة رائدة في طريق الخير والحضارة المدنية بما لديها من رسالة إنسانية ، يشترك في ذلك الرجل والمرأة على السواء. إذ إن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها من أطول الحضارات عمراً، وأعظمها أثراً في الحضارة العالمية ، لأن من خصائصها أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة.

ولقد أسهمت المرأة في بناء الحضارة الإسلامية إسهاماً واضحاً من خلال أدوارها المختلفة في المجتمع ، فللمرأة دورها الهام في بناء المجتمع ، حيث إن وجودها بارزٌ وواضحٌ في كل مجالات الحياة ،فهذه أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها صبرت على فراق ابنها الصغير قبل الهجرة ثم صبرت على وفاة زوجها أبو سلمة حتى كافأها الله بالزواج من النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان لها دور سياسي بارز في صلح الحديبية عندما شعر المسلمون بأن بنود الصلح كان بها إجحافٌ ، وأنهم لن يعتمروا هذا العام ، فلم يبادروا بالتحلل من الإحرام ، فدخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) خيمته وذكر لأم سلمة ما لقي من الناس ، فأشارت عليه بأن يبدأ بنفسه ، ويتحلل من الإحرام ، وعندئذ سيضطر الجميع إلى التحلل من الإحرام ،فتكون بذلك قد أسهمت بالرأي الذي قدمته للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين في تقديم حل عملي يسهل على المسلمين الأخذ به وهو ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم).

ولقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن نسيبة بنت كعب : " إنني في غزوة أحد ما تلفت يمينا ولا شمالا إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دوني" حتى جاء من يريد أن يقتل الرسول كلما أراد أن يطعن رسول الله (رضي الله عنها)يجد أم عمارة أمامه ، وأخذ يضربها بالسيف حتى غارت عظام

كتفها من شدة ضرب السيف عليه، فقال لها الرسول: (ما أشد ما تطيقين يا أم عمارة) قالت : بل أطيق وأطيق وأطيق يارسول الله ، فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم) سليني يا أم عمارة ، قالت : أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله ، فقال (صلى الله عليه وسلم): لست وحدك يا أم عمارة ، بل أنت وأهل بيتك.

ولم يقتصر دور المرأة المسلمة على هذا الجانب ، بل كانت حريصة على طلب العلم والاهتمام به منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى العصور الزاهية بالعطاء والإشعاع العلمي، والإسهام في البناء الحضاري ، إذ كانت تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يخص النساء بمجلس علم ، ففي الحديث عن أَبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ، قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَة إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا) فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ واثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ). (متفقٌ عَلَيْهِ).

ومن ثم تعلمت المرأة علوما شتى، فأسهمت إسهامات فعالة في الحركة العلمية منذ عصر النبوة إلى الوقت الحالي ، وكان لها دور كبير في تعليم العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية وتبليغها عبر العصور ، بالإضافة إلى علم الطب والفلك و الرياضيات والتمريض و الحساب و غيرها، فبرزت نساء عالمات ، وفقيهات ، ومحدثات ، ومفتيات، وأديبات، وشاعرات، وفي مجالات الطب والصيدلة والعمل الخيري، وقد كانت النواة الأولى لذلك أمهات المؤمنين ، وعلى سبيل المثال: السيدة عائشة – رضي الله عنها –كان بيتها مدرسة و جامعة لمختلف العلوم ، حتى قال الزهري: (لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل)، وكان عطاء بن أبى رباح– رحمه الله– يقول: «كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ» » (رواه الحاكم في المستدرك). وقد أخذ العلمَ عنها كثيرٌ من الصحابة والتابعين،وكذلك أم سلمة – رضي الله عنها – التي اشتهرت بالفقه ، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين ، والسيدة عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، وكانت يتيمةٍ في حجر عائشة (رضي الله عنها) وتربَّتْ تحت ظِلِّها، وكانت من أعلم الناس بحديثها، قال عنها الزركلي في الأعلام: فقيهة عالمة بالحديث ثقة.

كما أسهمت المرأة بخبرتها في الطب والصيدلة في الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وبعد وفاته ، وعلى سبيل المثال: السيدة رُفيدة الأنصارية أول طبيبة ميدانية ، والتي كانت تداوي الجرحى في الغزوات والحروب، وتحتسب عملها خدمةً للمسلمين ، لقد ارتبط اسمها بخيمتها ، مع كل غزوة من غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وظهرت خيمة رفيدة على مسرح الأحداث بدءا من يوم أحد ، تستضيف الجرحى ، تضمد جراحاتهم ، وتسعفهم ، وتسهر على راحتهم ، وتواسيهم ، فعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحَلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟» ، وَإِذَا أَصْبَحَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» فَيُخْبِرُهُ) (الأدب المفرد).(و الأَكْحَلُ: عِرْق في وسَط الذّراع يَكْثُر فَصْدُه).

وقد ظلت المرأة في الإسلام مشاركة في أمور الحياة العامة مع التزامها بوقارها وأدبها ، فقد عُرفت المرأة في الإسلام معلمة ومتعلمة وقائمة على شأن الفقراء والمساكين حتى أصبح منهن من تلقب بأم المساكين ، وهي (زينب بنت خزيمة) زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد برز في حياة التابعين كثير من النساء الفضليات مثل حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين سيدة التابعيات ، والتي حفظت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة، وأم الدرداء الصغرى هُجيمة الوصابية، فقد كانت فقيهة وهي زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء (رضي الله عنه).

وكما أسهمت المرأة في الحركة العلمية والبناء الحضاري ، فقد شاركت كذلك في نشر الدعوة إلى الله – عز وجل – جنبا إلي جنب مع الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيقا لقوله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [التوبة: ٧١]

وقد ضربت المرأة المسلمة المثل الأعلى في الدعوة إلى الله – عز وجل – وهذه بعض النماذج التي توضح هذا الدور العظيم :

*في عهد الخليفة المقتدر الخليفة العباسي كانت امرأة تسمى"ثِمْل " من ربات النفوذ والسلطان، وكانت الساعد الأيمن لأم المقتدر الخليفة ، وكلفتها الدولة "بالرصافة"سنة ٣٠٦هـ يعني النظر في شئون المظالم ، وكان يحضر في مجلسها القضاة والفقهاء والأعيان، توفيت عام ٣١٧هـ.

* فاطمة السمرقندية : وهي ابنة محمد بن أحمد السمرقندي كانت فقيهة عالمة وكان أبوها لا تأتيه الفتوى إلا ويعرضها على ابنته ويسمع رأيها فكانت الفتوى تخرج بتوقيعين ، توقيعه وتوقيع ابنته، وتزوجت من ملك العلماء علاء الدين الكاساني ، وكانت تنظم الحلقات التي كان يقصدها الآلاف من طلبة العلم.

*ذكر ابن بطوطة عند زيارته لمصر أنه لا يستطيع حصر النساء اللاتي أسهمن في المدارس العلمية ، وذكر منهن:

١- شمسية بنت عجلان التي بَنَتْ المدرسة الأشرفية.

٢- فاطمة ابنة قايتباي العمري الناصري التي عَمَّرت المدرسة الحنفية ، وأوقفت كتبا على طلبة العلم .

* وقد ذكر الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة٩٠٤هـ المئات من المتخصصات في الحديث .

*وغيرهن من النساء الكثيرات اللاتي عرفن بإخلاصهن وكفاحهن واستمساكهن بالإسلام وتعاليمه.

ولم تقتصر مكانة المرأة في الإسلام على ذلك ، بل تعددت أدوارها عبر العصور والدهور، فحكمت ، وتولت القضاء ، وعلَّمت ، وخرجت أجيالا ساهمت في البناء الحضاري للأمة الإسلامية ، وغير ذلك كثير مما يشهد به التاريخ .

وصفحات التاريخ الإسلامي مليئة بالشخصيات والنماذج التي تظهر قيمة المرأة في الحضارة الإسلامية، وكم لها من إسهامات في بناء المجتمع وإرساء دعائمه.

إن الأعداد الهائلة من النساء اللواتي أسهمن في بناء الحضارة الإسلامية ليس بوسعنا أن نستوعب جميعهن في عدة سطور، ولكن الأمثلة المذكورة كافية لتأكيد مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية، وإسهامها في بناء الحضارة وتعمير الكون.

جدير بالذكر أن دور المرأة لايقل أهمية عن دور الرجل في الدفاع عن الوطن والإسهام في بنائه وحضارته ، فهي المربية التي تغرس في نفوس أبنائها حب الوطن والانتماء إليه وأن يكونوا عناصر إيجابية قوية وفعالة في الحياة.

فإذا أردنا إطلاق نهضة بناء حقيقية فعلينا أن نركز اهتمامنا علي الإنسان ، وينبغي الالتفات إلى أن المرأة هي نصف المجتمع ، فقد نظر الإسلام إليها نظرة سامية من حيث مشاركتها في ميادين الحياة و ممارستها لأنشطتها ، وتعليمها ، وعملها ، ومساعيها الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادي، والعلمية وفق الضوابط الشرعية ، فالمجتمع في حاجة إلى جهود جميع أبنائه رجالاً ونساءً شباباً وشيوخًا حتى ينهض بجهود أبنائه جميعاً.